

## قراءة سوسيولوجية في المقاربات النظرية للعولمة

الدكتورة: ميمونة مناصرية، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تعرض هذه المقالة لأهم المقاربات النظرية للعولمة، من خلال التصنيف الذي اقترحه " أنتوني جيدنز" والتصنيف الذي وضعه كل من الباحثين " فيك جورج و بول ويلدينج " وكذا تصنيف " ليسلي سكلير"، ويأتي ذلك استخلاص لوجهات نظر الليبراليين واليساريين، ومن ثم، القراءة السوسيولوجية للعولمة، المبنية أساسا على مختلف القراءات والتفاسير.

### Résumé :

Plusieurs sont les travaux qui ont travaillé sur la question de la mondialisation sur divers aspects critique et analytique mais sont rares ceux qui ont élaboré une approche théorique qui permet de construire une réalité sociologique sur la question. C'est dans ce sens que nous essayons d'aborder la mondialisation d'abord selon les approches théoriques à travers la classification proposée par Anthony Giddens, Vic George, Leslie Sclair et Paul Wilding ensuite selon les points de vue de la pensée libérale et de gauche. Enfin et pour éclairer notre travail, nous marquons notre réflexion par une lecture sociologique de la mondialisation, basée principalement sur les différentes lectures et interprétations.

تمهيد :

كثيرة هي الكتابات التي تناولت العولمة بالتحليل والنقد والتعريف والبحث في الأبعاد والمظاهر والتجليات والنتائج، لكنها قليلة تلك التي حاولت تشكيل المداخل النظرية للعولمة والتي من شأنها رسم صورة واقعية بصيغة نظرية سوسيولوجية ترقى بالظاهرة من الممارسة إلى آفاق التجريد، ل يتم فهم الظاهرة الاجتماعية كشيء يتحرك وينمو ويمارس، إذ أن رسم الأبعاد والحدود بشكل مجرد من شأنه تحديد المحيط الاجتماعي وفهم هوية الظاهرة وكذا رصد مختلف العلاقات الاجتماعية داخل هذا المحيط الاجتماعي .

وحسب ما جاء به يحيى اليحياوي فإن العولمة تواجه إشكاليين منهجين

اثنين :

**يتعلق الإشكال الأول باصطلاح و مفهوم العولمة :** حيث يعتقد أن مفهوم العولمة، قد سقط مبكرا وربما لسوء حظه في الميدان العام، لا قبل أن يؤسس فحسب، ولكن أيضا قبل أن تستقر حمولته وتبين ملامحه ومكوناته الكبرى.

فقد أصبحت العولمة مجالاً بحثياً مهماً تتنازع تعريفها، طبيعتها، آثارها، مجالاتها... إلخ، رؤى متعددة تنطلق من مدارس فكرية وسياسية، بل وأطر مرجعية مختلفة، ناهيك عن وقوع " العولمة " كموضوع أساسي - الآن - بين موضوعات جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة.

والدليل على ذلك كون المفهوم قد تعرض (ولا يزال) لتضخم في الاستعمال وتعدد في الاستخدام من طرف الأفراد والمؤسسات أو من لدن الجماعات، إما بغرض تبرير واقع أو تمرير اختيار أو لمجرد مجازاة الموضة الرائجة على اعتبار أن من لا يستخدم مصطلحات ومفاهيم العصر (وتقنياته أيضا) هو حتما خارج العصر، خارج منطق العصر.

معنى هذا الإشكال أن المصطلح قد سقط، لمجرد بروزه، في المشاع وأصبح بالتالي حديث الخاص والعام، حديث النخبة والجماهير أيضا.

أما الإشكال الثاني فيتعلق بطبيعة المقاربة النظرية للعولة : التي يراد بها أو من خلالها العرض لظاهرة العولة في فعلها وتفاعلها، في اعتمال مكوناتها أو اشتغال آلياتها.

ويعتقد أن معظم المقاربات المتوفرة تتعامل مع الظاهرة وفق حقل الاهتمام، اهتمام الباحث أو المتتبع، وهو ما يجعلها إما مقارنة جزئية أو مقارنة مؤد لجة(\*) . لكن نادرا ما تكون شاملة وموضوعية.

بمعنى أن معظم المقاربات الرائجة إما تتعرض للظاهرة من الزاوية الاقتصادية الخالصة أو من جانب ربطها بالثورة التكنولوجية أو من منطلق محاولة فهمها من خلال استحضار إشكالات كإشكال الهوية أو الخصوصية أو الذاتية الثقافية، فتبقى بالتالي إما مقصية لباقي زوايا الرؤية الأخرى أو متحدثة في ظاهرة لم يضبط مفهومها ضبطا علميا أو لنقل، على الأقل، موضوعيا وشاملا.

هذان الإشكالاتان : سقوط الظاهرة في المشاع والميدان العام والمقاربة الجزئية الإسقاطية والإجرائية حالا في تصوره دون إمكانية التنظير للظاهرة أو على الأقل المؤسسة والتأسيس لمحدداتها ومرتكزاتها، وهو ما يجعل الكتابات كتابات هواة لا كتابات احترافية مدققة ومحصنة<sup>(1)</sup>.

فهذه الكتابات عادة تصرف النظر عن أطروحات الأوساط النظرية، مع أن هناك علاقة لا يمكن تجاهلها بين العالم النظري المجرد والعالم الواقعي حيث تمارس الجماعات الاجتماعية مختلف أنشطتها عبر الأفعال الاجتماعية، في وقت يجد الأكاديمي نفسه بحاجة للنظريات حتى تضيف معنى على الكم الهائل من المعلومات التي تعمرونا يوميا.

لكن أكثر ما يبدو إزاء الحديث عن العولمة هو التباين في وجهات النظر تجاهها، وتعود هذه الاختلافات الجوهرية إلى الاختلاف حول القوى الأساسية التي تسهم في صياغة محصلات التفاعل الدولي.

لقد تزامن التفكير بصياغة النظرية السوسيولوجية في أعقاب الثورة الفرنسية، التي شكلت ثورة أيديولوجية، تغير بموجبها وانهار وتفكك النظام المجتمعي، نتيجة تقهقر النظام الكنسي، وفسح المجال للتفكير العقلي ليتبوأ مكانه، حيث تفنن الرواد الاجتماعيون في تنظيم الواقع الإنساني والاجتماعي على أساس العقل، باستخدام المناهج الطبيعية لأنها الأقرب للدقة، بيد أن التأسيس الأكاديمي، كانت أكبر إشكالاته كيفية بناء المجتمع الجديد الرأسمالي، " كيف يبنى هذا المجتمع؟، كيف يحافظ على استقراره؟ هذا بعد أن استوعب العقل كل حيثيات التغيير وإفرازاته، فصاغ النظرة للمجتمع في قوالب مجردة، سماها تارة طبقات اجتماعية، وسماها تارة أخرى بناءات اجتماعية.

ولم تتوقف النظرية السوسيولوجية هنا، بل ظلت تواكب كل تغيير للأحداث على الصعيد الإنساني والبشري والدولي، ليكون التنظير حاضرا في كل المراحل، على اختلاف أزمته، ومن هذه المراحل نجد العولمة التي تمثل إحدى مراحل الرأسمالية، وجدير بالاهتمام في هذا المقام الذي تحظى فيه العولمة بحصة الأسد من البحث، أن نستقرأ التراث السوسيولوجي الملائم لهذا المقام(\*)).

والنظريات المتعلقة بالعولمة، مثلها مثل أي نظرية، قائمة على افتراضات حول نظرية المعرفة وعلى موقف من مناهج البحث، ولما كانت النظريات السائدة معتمدة على الواقعية معرفيا، والوضعية منهجيا، كان من الطبيعي أن أي نقد لها سيؤدي إلى تغيرات كبيرة على مستوى نتائج العلم، وقد فتح هذا الجدل أبواب النقاش والجدل حول قضايا تجاوزت النظريات التقليدية، بل ومناهج البحث التي استعملت، وصار تناول العولمة في قالب نظري معين، يعتمد بشكل واضح على موقف محدد من المعرفة ومن الوجود.

### نظرية نظام العولمة :

يعتقد ليسلي سكلير (Leslie Sclair) أن العولمة فكرة جديدة في علم الاجتماع، رغم أنها في العلوم الأخرى مثل دراسات الأعمال والعلاقات الدولية ، كانت عامة في بعض الأوقات، ذلك لأن السمة البارزة في القضايا المتعلقة بالعولمة، أنها لا يمكن حلها على مستوى الدولة -الأم ، بل تحتاج إلى تنظير بمفهوم العمليات العالمية (عابرة القارات) فيما يتخطى مستوى الدولة -الأم<sup>(2)</sup>.

وهنا ينبغي أن نسجل أنه في إطار العولمة، تصبح العلاقة الدولية تتسم بالتمييز بين المتقدم والمتخلف، ويمكن النظر إليها في ضوء ما يسمى بما وراء الثقافات، إذ من خلالها يمكن الكشف عن العلاقة بين الجزء والكل في إطار العالم، وما يتم في إطار هذه العلاقة من أفعال عملية إما لتطويرها أو التخلف عنها، أو للحد من تأثيراتها، وهذا ما يجعل مفهوم الثقافة هنا مفهوما غنيا أو فقيرا، إن انعدام حركة الثقافة في إطار هذه العلاقة، بما يعكسه من تأثيرات إيجابية أو سلبية، هو ما يحكم على غنى أو فقر ثقافة ما في دولة متخلفة أو العكس في دولة غنية، من خلال تفعيلها في العلاقات الدولية، حيث وفي ضوء مفهوم ما وراء الثقافات فإن الرأسمالية العالمية تعمل على إقصاء التعددية والتنوع في الخطاب، بهدف خلق ثقافة واحدة، وحيث تعمل على إيجاد صورة كلية للعالم باعتباره مكانا واحدا لا يجد التنوع فيه مكانا، وطبيعي جدا أن تجد العولمة كنظام وكمؤسسات اقتصادية، نمطا ثقافيا جديدا يتسم بالتهميش لصالح ثقافة واحدة، تسيطر وتهيمن على ثقافات واقتصاديات كل ما عداها من الثقافات الأخرى، وما شكل عليها من خطر المنافسة في الوجود، وفي أخذ زمام قيادة العالم<sup>(3)</sup>.

وقد ركز الباحثون في شؤون العولمة على ظاهرتين جديدتين تعتبران من أهم القضايا التي ارتبطت بالمرحلة الأخيرة للرأسمالية، الأولى هي التغيرات الكمية والنوعية في الشركات غير القومية، من خلال عمليات مثل عولمة رأس

المال والإنتاج، والثانية هي ما حدث من تحولات في القاعدة التكنولوجية وما تبعها من آفاق عالمية لوسائل الإعلام، ومن هنا برز الاهتمام الكبير بتحليل الاقتصاد العالمي ، وتحليل المجتمع عولياً، وتحليله قومياً أيضاً .  
المقاربات النظرية لمفهوم العولمة

قليلة هي الكتابات السوسولوجية التي تناولت العولمة من باب المقاربات النظرية المفصلة، بينما لا يكاد يخلو كتاب من الحديث عن الموقفين الرئيسيين من العولمة ( الموقف المؤيد والموقف المعارض ) ، بينما لا يعكس المتوج العربي سوى إعادة صياغة واجترار لما توصل إليه الفاعلون الحقيقيون سواء كانوا صانعين للعولمة أو مناهضين لها، بيد أن أغلب الناس تدرك أن هناك تحولا اجتماعيا مهما في العالم المحيط بنا، لكن هناك تعارض حول ما إذا كانت هذه التحولات لها علاقة بالعولمة أم لا، نظرا لصعوبة إدراك وفهم عملية العولمة، كونها مضطربة وغير قابلة للتكهن، وبذلك تتعدد الطروحات إزاءها، بتعدد الزوايا المنظور من خلالها لهذه العملية المعقدة .

من جهة أخرى هناك من الباحثين السوسولوجيين من يرى أن صراع الأيديولوجيات (الليبرالية -المحافظة- الراديكالية..) قد ساعد على تطوير النظريات العلمية المتناسقة مع وجهات النظر الأيديولوجية المعنية وطور من قدراتها على التفسير والتنبؤ، ولكن من جهة أخرى يمكن القول أنّ التحليل السوسولوجي المرتبط ارتباطاً أعمى بمنطلق أيديولوجي مُعيّن يُشكّل احتكاراً لقدرات عالم الاجتماع في التفسير وتطويع المعطيات النظرية والمنهجية لتناسب مع موضوع البحث وخاصية الظاهر<sup>(4)</sup> .

وفيما يلي استعراض لأهم الدراسات الجادة التي حاولت الوقوف على مختلف المقاربات النظرية للعولمة ، بناء على تصنيف وجهات أحاطت بالعولمة من جل الجهات إن لم نقل كلها<sup>(5)</sup> .

أولا : مقارنة انتوني جيدنز (Antony Gidens):

في مساهمة أولية للوعي بالآخر، وفي صرخة في وجه الديكتاتورية ومشروع إنقاذ الدولة المأزومة، يستعمل أنتوني جيدنز مصطلح الطريق الثالث(\*) للإشارة إلى عملية تجديد الديمقراطية الاجتماعية، وهو يأخذ المفهوم في إطار فكري وإطار لصنع السياسة ، محاولا بذلك تخطي كل من الديمقراطية الاجتماعية ذات الطراز القديم والليبرالية الجديدة ، ومؤلفا بين الإيجابيات التي يراها موجودة في الرأسمالية وقيم الاشتراكية ، حيث بعد التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية في نهاية القرن الماضي والتي تمثلت فيما يلي :

- سقوط الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وما ترتب عن ذلك من انهيار وفقدان للثقة في المشروع الماركسي، ووضوح فشل التخطيط المركزي، وما صاحبه من مختلف المظاهر التي عدت من سلبيات الاشتراكية كغياب حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، وكذا ابتلاع المجتمع المدني من قبل الدولة .
- ضعف الإجماع حول فكرة دولة الرفاهية التي كانت مطروحة وبكل قوة في الدول الصناعية، وتحول الرأسمالية إلى رأسمالية متوحشة تسعى إلى الربح بأي طريقة، مع ما صاحبه ذلك من بروز هوة عميقة بين قلة ثرية تستفرد بالحكم وعامة فقيرة تعيش الكفاف، إلى جانب اتساع رقعة المهمشين، والعنف والجريمة والبطالة، وكل الأشكال التي طالما قوضت أعرق البنى والأنساق الاجتماعية، وأكثرها ثباتا في المجتمع، وهو الأمر الذي ينبئ بأن السياسة التي تمارس في المجتمعات الرأسمالية لا يمكن أن تكون بديلا عن عدالة التوزيع .

وبهذه الصورة يبدو أن فكرة الطريق الثالث هي نتاج مجموعة من الظروف والتطورات المختلفة، وهي فكرة تحاول التوليف بين قيم الاشتراكية (عدالة التوزيع ) و(الحافز ) وأهميته في الرأسمالية، أو بتعبير آخر التوليف بين العدل والحرية<sup>(6)</sup>.

يتجه انتوني جيدنز من خلال كتاباته إلى اعتبار الثقافة المتغير الرئيسي في عملية العولمة، متقاسما هذا الاتجاه مع رونالد روبرتسون، ويتساءل عن كيفية صمود هوية الأفراد والجماعات الإثنية المختلفة أمام الثقافة الكوكبية التي أصبحت تكتسح العالم وبشتى الطرق والوسائل، مستخدمة الاقتصاد والسياسة كبوابات تلج من خلالها إلى عالم تغيير كينونات المجتمعات المختلفة .

أما عن قضية العولمة في حد ذاتها فتننازعها ثلاث مدارس فكرية هي<sup>(7)</sup>.

أ . المشككون:

يعتقد فريق من المفكرين أن العولمة قد لقيت من الاهتمام بقدر لا تستحقه، وأن الجدل قد دار واحتدم حول موضوع لا جديد فيه، حيث أن الظاهرة الاقتصادية الحالية التي جلبت لها الأنظار، واعتبرت أساسا في التغير الاجتماعي هي في الحقيقة أمر قديم، إذ تشير الشواهد التاريخية إلى أن العالم قد شهد في القرن التاسع عشر حركة تجارية واستثمارات رائجة ذات طابع عالمي، وفي هذا الصدد يشير المشككون إلى أن توجهات العولمة الجديدة لا تختلف عن سابقتها إلا في جانب كثافة التعاملات التجارية ، لا أكثر .

صحيح أن الدول أصبحت أكثر تماسا ببعضها ، إنما الاقتصاد العالمي لم يحقق قدرا من التكامل، حتى يمكننا تسميته اقتصادا عالميا حقيقيا، حيث أن التبادل التجاري اقتصر على أقاليم بعينها، كأوروبا وآسيا والمحيط الهادي وأمريكا الشمالية.

وإذ تؤكد العولمة، ويؤكد أنصارها باستمرار على تقهقر دول الدولة في وجه الإرادة العالمية، إلا أن المشككين في العولمة يؤكدون بأن الحكومات مازالت



وستبقى الفاعل الرئيسي في العملية الاقتصادية لشعوبها، وبفضل قوتها تتعزز وتتوسع، أما القوى الدافعة للعولة فهي الحكومات والأسواق، بينما أنماط التراتب والتدرج الاجتماعي يغلب عليها الحديث حول التهميش المطرد للجنوب، بينما يتصورون العولة على أنها تدويل وأقلمة، ومن زاوية المنحى التاريخي يرون العالم في زمن التكتلات الإقليمية والمجتمعات تدير دواليها صراع الحضارات .

وبعبارة أخرى فهم يعتقدون أن التدويل يعتمد على ما تبديه الحكومات من قبول ومساندة.

#### ب - المتحولون:

يرى المتحولون أن العولة ظاهرة حقيقية تتبدى في كل مكان ، فهي لا تعنى فقط التدخل في شؤون الدول والأمم بل وتعني إزالة الحدود بشكل نهائي، بواسطة حركة التجارة الرائجة، إذ لم تعد الدولة المفردة قادرة على السيطرة على حدودها، بسبب عدم قدرتها على التحكم في اقتصادياتها المرتبطة أساسا بالاقتصاد العالمي، ومختلف القضايا التي تبرز خارج حدودها، كتقلبات الأسواق المالية، و بروز المخاطر البيئية، ... وبإدراك المواطنين لقصور الدولة أمام هذه الأحداث العالمية ، يفقدون الثقة في أنظمة الحكم، إلى جانب ذلك فهذه الفئة ترى بأن الحكومات الوطنية عاجزة وتواجه تحديات أمام صندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وكذا الاتحاد الأوروبي .

بعبارة أخرى يعتقد أنصار العولة بنهاية الدولة القومية .

#### جـ. التحوليون :

يتبنى التحوليون موقفا وسطا بين المدرستين الفكريتين السابقتين، حيث يرون أن العولة تمثل سببا في العديد من التغيرات على المستوى الاجتماعي، بينما النظام العالمي يجتاز مرحلة من التحول، يشكل خلالها معمارا جديدا ضمن أنماط التدرج الاجتماعي، بيد أن الأنماط التقليدية ظلت على حالها دونما تغير،

فالحكومات ما تزال صاحبة الحل والربط في مجالها الجغرافي، وما زالت ذات سلطة على أفرادها حتى أولئك الذين ينظمون الصفقات ومختلف العمليات الاقتصادية ، رغم أن الاعتماد العالمي قد قطع أشواطاً بعيدة، ومتعددة الجوانب، فهذه الجوانب لا تقتصر على الاقتصاد فحسب، بل تعدته إلى الحياة السياسية والثقافية.

أي أن هناك مستويات غير مسبقة من الترابطات الكوكبية، مما جعل عملية العولمة كثيفة ومتسعة، وقوة الحكومات الوطنية منصبه حول التوليف و الهيكلة، في حين أن العولمة لا تمثلها دولة أو شعب أو اتجاه فكري بعينه، بل كل قوى الحدائث، وهذه القوى هي الكفيلة بدفعها إلى الأمام، بينما يظل الحديث الغالب في أروقة التفكير منصبا حول التحولات في الجماعة السياسية، في ضوء تصور العولمة حول إعادة تنظيم للعلاقات البينية الإقليمية والفعل عن بعد، ... وكل هذا يتم ضمن منحى تاريخي يمثل مرحلة وسيطية من الاندماج والتجزئة العالمية .

بعبارة أخرى العولمة تعني تحولا في سلطة الحكومات وفي السياسة العالمية.

ثانيا : مقارنة فيك جورج وبول ويلدينج<sup>(8)</sup> (vic george et paul

wilding)

قام الباحثان فيك جورج وبول ويلدينج في كتابهما " العولمة والرعاية الإنسانية" معا بتصنيف المقاربات النظرية للعولمة، وخلصت نتيجة هذه المحاولة إلى أربعة مقاربات معنونة كما يلي:

أ . أنصار التطور التكنولوجي: ويركز أنصار هذا الاتجاه على التكنولوجيا كمتغير أساسي في تفعيل عملية العولمة، فالعولمة حسب هذا الاتجاه تعني الزيادة والسرعة في نقل الاقتصاد العالمي، بينما يصبح العالم بلا حدود، حيث تعد وسائل الاتصال التكنولوجية وبصفة خاصة الكمبيوتر القوى الرئيسة للعولمة.

وتعني ثورة المعلومات تصديرا دوليا للأسواق والتجارة العالمية للتكنولوجيا والمعلومات مع الامتداد الجغرافي المتسع، وبناء معلومات ومادة علمية تترجم في جميع أنحاء العالم، وتؤثر جوانب العولمة الاقتصادية والتكنولوجية في الأبعاد السياسية والثقافية، حيث لا توجد علاقة وظيفية بينهما بوصفها أنساقا فرعية في المجتمع<sup>(9)</sup>.

ويستطرد العالمان في تقييم هذا الاتجاه، من حيث قوته التي تم تحديدها في دقة الطرق التي أثرت بها التكنولوجيا والأسواق العالمية في طبيعة العمليات الاقتصادية.

بينما تتضح نقاط ضعف هذا الاتجاه في تعريفاته للعولمة، ووضعها في تعريفات ومصطلحات اقتصادية مبدئية، مما أدى إلى وجود مزاعم كثيرة عن مدى انتشار العولمة في الوقت الحاضر.

أما عن الجانب التنبؤي فهذا الاتجاه يزعم أن العولمة هي فكرة تجعل العالم بلا حدود في المستقبل<sup>(10)</sup>.

ب. المتشائمون الماركسيون : يشكل هذا الفريق العين الناقدة للعولمة، على خلفية الاتجاه الماركسي المضاد للعولمة والرافض لكل الأنساق القيمية الرأسمالية، حيث يعتقد هذا الاتجاه أن العولمة لا تمثل فقط امتدادا للرأسمالية، بل إنها تمثل حقبة تاريخية منها.

ج. البراجماتيون التعدديون : يتجه هؤلاء إلى تأييد العولمة ، بينما يتحدثون عنها عبر العديد من المتغيرات، حيث يتناولون المتغيرات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، و... بنفس القدر، ويجنحون أحيانا إلى انتقادها - بدرجات متفاوتة محاولتها الهيمنة الثقافية على العالم.

د. الدوليون المتشككون : وإذا كانت المقاربات السابقة ذوات موقف من العولمة، سواء بالتأييد أو الرفض، ومن ثم يعترفون بوجودها مبدئياً، فإن المنتمين إلى هذه المقاربة " الدوليون " لا يعترفون بوجود العولمة من الأساس على اعتبار أن التطورات الراهنة على مستوى العالم، لم تفض بعد إلى تحول جذري من الحالة الدولية إلى الحالة العولمية .

ثالثاً : مقارنة ليسلي سكلير ( Leslie Sclair ):

في تفسيره للعولمة كونها تثير جدلاً عالمياً واسعاً ، يؤكد ليسلي سكلير بأن أدواتها بما تؤديه من ممارسات سياسية وثقافية عابرة للقارات أكثر جدلاً من العولمة في حد ذاتها، ونظرية النظام الكوكبي المطروحة هنا ترى أن الأداة الرئيسية في المجال السياسي هي طبقة رأسمالية عابرة للحدود القومية دائبة على التطور، فمؤسسات النزعة الاستهلاكية على الصعيد الثقافي -الإيديولوجي، كما يجري التعبير عنها في وسائل الإعلام العابرة للحدود القومية، هي الحوامل أو الأدوات الرئيسية في الساحة الثقافية -الإيديولوجية .

بعبارة أخرى ، تقوم الشركات عابرة الحدود القومية بإنتاج السلع مع جملة الخدمات الضرورية لتصنيع هذه السلع وبيعها، وتقوم الطبقة الرأسمالية العابرة للحدود القومية بإنتاج البيئة السياسية المناسبة لتسويق منتجات هذا البلد بنجاح في ذلك ، أما النزعة الاستهلاكية الثقافية - الإيديولوجية فتنتج جملة القيم والمواقف التي تتمخض عن، وتديم، الحاجة إلى المنتجات، فالشركات العابرة للحدود القومية تدس أنفها في سياسة البلدان المضيفة، والنزعة الاستهلاكية الثقافية - الأيديولوجية تنتشر في الغالب عبر الشركات العابرة للحدود القومية المنخرطة في ميادين وسائل الإعلام الجماهيرية والإعلان .

إن الأطروحة التي تستند إليها هذه الأداة النظرية، والتي تعتمد عليها أية نظرية قابلة للحياة عن النظام الكوكبي هي الأطروحة التي تقول إن الرأسمالية تتغير نوعياً، وتتحوّل من نظام دولي إلى نظام كوكبي، ورغم أن هناك حركة دائبة

على مقاومة العولمة، وعلى الرغم من وضوح عدم اختفاء الدولة القومية، إلا العولمة باتت تصور بوصفها أولى أربع ثورات تجارية ( أعمالية إن صح التعبير) جارية بصورة متزامنة، حيث الثورات الثلاث الأخرى هي الحواسيب، والإدارة المرنة واقتصاد المعلومات، ومن ثم فإن هناك ما يكفي من التأييد العام للأطروحة التي تقول بأن النظام الرأسمالي عاكف على الدخول في شيء يشبه حقبة كوكبية<sup>(11)</sup>.

وبدوره صنف ليسلي سكلير المقاربات النظرية للعولمة إلى أربع رئيسة، اشتق مسمياتها من نفس المسميات التي أطلقها عليها أصحابها والمنتسبين إليها، وقد جاءت على النحو التالي :

أ. مقارنة النظم العالمية: والقائمة على أساس مساهمة ( ايمانويل والبرشتاين ) التي قدمها عقد السبعينات من القرن العشرين، وقسم خلالها الدول إلى مركزية، ومحيطية، وشبه محيطية، في إطار النظام الرأسمالي العالمي .

ويتنقد سكلير منظري هذه المقاربة لغلبة توجهاتهم الاقتصادية، ولارتكاز تحليلاتهم على الدولة القومية، التي انتهى زمانها من وجهة نظره، وكذا استخدامهم مفهومي الكوكبي والدولي بشكل تبادلي دون تمييز .

ب. مقارنة الثقافة الكوكبية: ومن أبرز روادها أنتوني جيندز ورونالد روبرتسون، وهم -الرواد- يتجهون نحو جعل المتغير الثقافي متقدما في الصدارة، سابقا على السياسي والاقتصادي. كما أن بينهم اهتمام مشترك بالتساؤل بشأن كيف تظل هوية الفرد والأمة باقية وحية في مواجهة الثقافة الكوكبية "البازغة".

ومن أبرز مساهماتهم - في هذا الصدد - طرحهم لمفهوم "العولحية Glocalization"، والذي أنصب على تبين وفهم الشبكة المعقدة الضخمة ذات الأوجه المتعددة للعلاقات المحلية- الكوكبية، مع تأكيدهم الواضح على التوجه "المحلي". ويتقدمهم سكلير لتركيزهم "الثقافوي" على عملية العولمة .

ج. مقارنة المجتمع الكوكبي: تناقش الحذار قوة الدولة القومية، وصعود المؤسسات عبر القومية والكوكبية، وانضغاط الزمان والمكان ، وعلاقة ذلك بالناس في جميع أنحاء العالم ، ويتقدمهم سكلير لشموليتهم المفرطة، وتفاؤلهم غير المبرر بالعمولة .

د. مقارنة الرأسمالية الكوكبية :ويتبناها سكلير ويدافع عنها، حيث يقرر أن النظام العالمي قد تجاوز خلال السنوات الأخيرة - وبفعل العمولة - مفهوم الدولة القومية ليتحول نحو الكيانات متعددة القومية، حيث يعمل بشكل كلي على ثلاث مستويات من الممارسات متعددة الجنسية "القومية"، الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، وكل ممارسة من هذه الممارسات محكومة " أو مهيمن عليها " من خلال مؤسسة رئيسة تقود خطاها نحو العمولة، حيث نجد أن الشركات متعددة الجنسية هي المحرك الرئيس للممارسات الاقتصادية متعددة الجنسية، والطبقة الرأسمالية متعددة الجنسية هي المحرك الرئيس للممارسات السياسية متعددة الجنسية، كما أن المحرك الرئيسي للممارسات الأيديولوجية الثقافية متعددة الجنسية يتمثل في الأيديولوجية الثقافية للنزعة الاستهلاكية<sup>(12)</sup>.

بناء على ما سبق، وفي محاولة للخروج بتصوير أكثر وضوحا ، يمكن إدماج المقاربات النظرية الأربع للعمولة التي قدمها جورج وويلدينج من ناحية، وسكلير في ثلاث أساسية، حيث تدمج في المساهمة الأولى، مقارنة " المتحمسون للتكنولوجيا " مع مقارنة " البراجماتيون التعدديون "، فالتكنولوجيا هي إحدى المتغيرات التي من الممكن تضمينها بين المتغيرات المتعددة التي يركز عليها المتممون إلى المقاربة البراجماتية، خاصة أن الإطار النظري والمنطلق الإيديولوجي لكلا المقاربتين لا يختلف كثيرا، فالاختلافات بينهما كمية.

وعلى الجانب الآخر، نجد أنه من الممكن - إلى حد كبير - دمج مقارنة " النظم العالمية " مع الأخرى الموسومة بمقاربة " الرأسمالية الكوكبية " لدى سكلير، فمنطلقاتهما متشابهة إلى حد بعيد، حيث التركيز على نقد العمولة الرأسمالية من

منظور كلي شامل، ماركسي في الأساس، هذا إذا ما تجاوزنا عن اختلافهما حول الموقف من الدولة القومية و دورها الراهن في صدد عملية العولمة كما وكيفاً.

وعليه فإنه قد يكون من الملائم تصنيف مقاربات العولمة المتعددة و المختلفة على أساس وجود فريقين رئيسيين، يضم الفريق الأول المعترفين بالعولمة، في حين يضم الفريق الآخر غير المعترفين بها والمشككين في وجودها أو كما أسماهم جورج وويلدينج "الدوليون المشككون".

إلى جانب ذلك فيمكن التمييز في الفريق الأول بين توجهين إيديولوجيين رئيسيين هما : الاتجاه الليبرالي والاتجاه اليساري حيث :

1 - ينطوي الاتجاه الليبرالي على مساهمات مؤيدي العولمة، بتنوعاتهم المختلفة، من المحافظين إلى الإصلاحيين، حيث هناك من يبدون التأييد المطلق لها كالمتمحمسين للتكنولوجيا، وأصحاب مقاربة المجتمع الكوكبي، وهناك أيضاً من يقبلون العولمة بشكل عام، وإن كانوا ينتقدون بعض جوانبها خاصة الثقافية، وهم من أسماهم جورج وويلدينج البراجماتيون التعدديون، ووردت مساهمتهم لدى سكلير تحت عنوان مقاربة الثقافة الكوكبية .

2 - في حين يضم الاتجاه اليساري مساهمات متعددة لأصحاب توجهات نظرية يسارية ، تطورت تاريخياً في اشتباك نقدي دائم مع الرأسمالية العالمية. وقد أطلق عليهم جورج ووايلدينج مسمى : المتشائمون الماركسيون، في حين صنفهم سكلير ضمن مقاربتين هما : النظم العالمية ، والرأسمالية الكوكبية .

ويعتبر منظرو هذا الاتجاه هم أكثر من انتقد العولمة، وأماط اللثام عن عيوبها، وعن آثارها الاجتماعية العميقة التي أفرزت - أو تكاد - مجتمعات منمطة السلوك والتوجهات ومختلف أنماط الممارسات .

ورغم كل الاختلافات، والتباين في وجهات النظر بخصوص إيجابيات العولمة وسلبياتها، سواء على المستوى النظري أو المنهجي أو الأيديولوجي، إلا أن

كل الاتجاهات تجمع وتتفق على مقولات تتعلق بانكماش العالم وانضغاطه بفعل عوامل وأسباب وبعض المتغيرات التي يجري النقاش حول أولويتها، إذ أنها قد تكون تكنولوجية وقد تكون اقتصادية أو ثقافية أو إيديولوجية ....

ومن خلال ذلك يمكن الوقوف على الرأي والرأي النقيض، بخصوص العولمة أي بين الليبراليين واليساريين حيث يرى :

### الليبراليون

يمثل الليبراليون بكل أقلامهم ونظرياتهم و.... مدرسة أنصار العولمة ، وهي مدرسة واضحة المعالم والأهداف والتطلعات، تصوغ أهدافها بشكل يتكيف مع مستجدات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدولية والإقليمية، إذ لا تكاد تأخذ لها صورة واحدة في مواقف مختلفة، حتى لو تعلق الأمر بنفس الفاعلين للظاهرة ، فالتكيف الذي حققه أنصار هذه المدرسة مع مختلف الأوضاع وبنفس الدرجة هو في الحقيقة قل نظيره إذا ما قورن بالاتجاهين الآخرين، فأنصار هذه المدرسة يحملون شعارا ثابتا هو " العولمةُ وجدت لتبقى " ، حتى لو كان هذا البقاء على حساب اقتصاديات وقوت وأرزاق أمم وهويات وكيانات شعوب،... وبعبارة أخرى فكتاب هذه المدرسة أو شبه كتابها لا يتساءلون حول وجود العولمة ، أو ما سيكون لها أثر على أمم أخرى في عقود زمنية مقبلة لأنها تمثل بالنسبة لهم :

- التقاء الأذواق وتوحد متزايد بسمح باستخدام المنتجات المعيارية والعمليات الصناعية على المستوى العام .
- اندماج عمليات الشراء والتصنيع بشكل يسمح لهم بالتسوق والتسويق العالميين، وهذا ما يؤدي إلى كفاءة اقتصادية كبيرة نتيجة انخفاض التكاليف.
- سيطرة أشخاص معينين على صناعات عالمية معينة.



- وجود شركات كبرى تسيطر عليها ثقافة عالمية و بنى فكرية واحدة<sup>(13)</sup> .
- بل وأكثر مما سبق ظل الليبراليون يصرون على مقولات نظرية التحديث ويستندون إليها في تحليلاتهم على اختلاف مناسباتها حيث:
- مقولات نظرية التحديث :**

- تستند نظرية الأفكار التقليدية للرأسمالية على :
- رفض مراحل تطور المجتمعات التي جاءت بها الماركسية(المشاعية، العبودية، الإقطاعية، الرأسمالية والاشتراكية ) ، وطرح بديل عن ذلك وهو: مرحلة التقليدية أو التخلف ومرحلة الحداثة أو التقدم، بينما المجتمع الإنساني يشكل خطأ مستقيماً في عبوره من التخلف للتقدم .
- رفض فكرة أن قوى الإنتاج والصراع الطبقي هما محركا التاريخ، بل أن قوى التحديث

- الغربية هي التي تغير مؤسسات المجتمع التقليدي وتقدم نموذجاً يمكن تقليده، وتدعم النخبة المحلية التي تهيم الظروف نحو انطلاق التحديث.
- لا يعود سبب تخلف البلدان النامية إلى خضوعها للاستعمار وإنما إلى مؤسساتها التقليدية

التي تتميز بالقدرية والغيبية، والتي تنمي اتجاهات وقيم لا عقلانية لدى الأفراد، وهي قيم ذات أثر سلبي على التنمية، من حيث أنها تبعد الأفراد عن الادخار والتفاني في العمل ... وتوجههم بدلاً من ذلك إلى الإغراق في الاستهلاك، واحتقار العمل اليدوي ...

كما أن عملية التغير الاجتماعي التي شهدتها أوروبا من قبل ، والتي اشتملت على التحضر والتصنيع وتحديث الشخصية ، هي نفسها العملية التي تشهدها الآن بلدان الشرق الأوسط العربية (\*).

الأمر الذي من شأنه تكرار التجربة الغربية في تحويل المجتمع التقليدي إلى مجتمع حديث. تمر مجتمعات الشرق الأوسط والبلدان النامية بمرحلة انتقالية، وهي مرحلة تأتي عادة عقب ابتعاد المجتمعات عن الحالة التقليدية، وترافق دخولها إلى العالم الحديث المصنع، وتتميز هذه المرحلة الانتقالية بوجود المؤسسات التقليدية والحديثة جنباً إلى جنب، لتزول التقليدية بالتدرج إلى أن تنمحي.

كل المجتمعات الإنسانية - بما أنها تخضع لنفس عمليات التغيير - ستصل إلة وضع حضاري يشبه وضع المجتمع الصناعي الغربي، حيث سيادة العلمانية والعقلانية المرتبطة بالنظام الصناعي الذي يفرض علاقاته البرجمائية المميزة. آلية التنمية الأساسية هي السوق، وليس التخطيط من قبل الدولة، ولذلك فإن القضاء على مشكلة التخلف ينبغي إعطاء الحرية كاملة للقطاع الخاص حتى يستثمر، باستخدام التقنيات الحديثة لرفع الكفاية الإنتاجية، واستخدام الأرباح المحققة لمزيد من الاستثمارات. المشاركة الشعبية غير مطلوبة في الدول النامية لتحقيق النمو، وإنما يكفي ازدياد عدد الأشخاص الذين يتميزون بالشخصية الإنجازية لتحقيق التقدم الاقتصادي<sup>(14)</sup>.

#### اليساريون :

خلافاً للمشككين، لا يتساءل اليساريون عن وجود نظام عالمي جديد من صنع العولمة، لأنهم متأكدون من وجوده، ولكنهم ينتقدون ويعارضون نتائجها، ولذلك فهم يرون أن العولمة أمر لا يمكن مقاومته، وإنما يجب الحد من استراتيجية الهيمنة التي تنتهجها، والتي تمارسها الشركات متعددة الجنسيات بدون شفافية ولا رؤية ديمقراطية، كما تبرز في جدلياتهم بعض المؤسسات الدولية كمنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، و... كمؤسسات تسعى علناً لتحقيق أهداف أيديولوجية تحت شعار الترويج الحر والحيادي للتنمية الاقتصادية والتجارة.

ويعارض المعادون العولمة ويرفضونها تحت طائلة الحجج التي تتمثل

فيمايلي :

▪ العولمة تكون نوعا من عدم المساواة وتزيد من اللامعادلة، إذ وعلى ما هو معروف منذ أكثر بقليل من 150

سنة الماضية كانت مناطق العالم متشابهة في درجة تقدمها ، وبعد ذلك نقلت العبودية والاستعمار والعولمة الثروة من الجنوب إلى الشمال ببطء وتدرج ، وبمرور الزمن أصبح 20 % من سكان العالم يحصلون على نحو 83 % من دخل العالم .

▪ التنمية العالمية ليست بالضرورة ذات مردود لكل إنسان، حيث وفي الوقت الذي يجادل أنصار العولمة بأنه

إذا زادت معدلات النمو في العالم فإن كل إنسان يمكن أن يستفيد، تفند التقارير على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية ... بل وتؤكد أنه كلما زادت الدول الغنية غنى زادت الفقيرة فقرا وسوءا .

▪ أما بالنسبة للمؤسسات الدولية الرئيسية(\*)والمتمثلة في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة

العالمية، فهي لا تسعى إلى التنمية والتطوير كما يقولون، ولكنها تسعى إلى تكريس الاستعمار في ثوب جديد، من خلال اعتمادها على عمليات وقروض البنك الدولي، وسعيها الدائب لتكوين ديون تتراكم على الدول النامية ، وتنتج هذه المؤسسات ما يسمى " طاحونة الاستثمار بالديون "، ويؤكد اليساريون المتابعون لعورات العولمة بأن وصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كانت ذات آثار فاجعة، فسياسات إعادة الهيكلة لهاتين المؤسستين تهدف إلى تمكين هذه الدول من دفع ديونها على حساب ازدياد الفقر واستغلال القوى المحلية وتراجع الخدمات الاجتماعية وإضعاف المقدرة على تطوير الاقتصاد المحلي، من جهة أخرى فإن السياسات المبينة عليها هذه المؤسسات معادية للبيئة، فهي تعتمد على استغلال المصادر الطبيعية بقطع

الغابات وتسميد شديد للتربة لإنتاج مواد لازمة للتصدير، وجرف التربة لإنتاج المعادن بسرعة أكبر، واستغلال وليس استثمار أحواض السمك والبحار الإقليمية والمياه العميقة من أجل الإنتاج .

وعلى أساس هذه الحجج يصوغ اليساريون وجهة نظرهم إزاء العولمة فيما يلي :

- العولمة تمثل شكلا جديدا من أشكال الاستغلال الاستعماري.
- الحكومات الوطنية استبدلت من قبل المعتدين الاستعماريين بمؤسسات عالمية وشركات متعددة الجنسية.
- أهم القوى الدافعة للعولمة في عالمنا اليوم هي رأسمالية السوق الحرة وتحرير التجارة وديون العالم الثالث .
- وسيكون نتاج النقاط السابقة تكوين نخبة اقتصادية عالمية تتجاوز مصالحها الحدود الوطنية، وبروليتاريا عالمية مهمشة.

كما أبداع المنظرون اليساريون في صياغة النظرية التي تعبر عن توجهاتهم، وتتناول مختلف القضايا المرتبطة بالعلاقة بين المركز والأطراف، وهي:

#### نظرية التبعية :

التي تفسر التخلف وعدم النمو في البلدان النامية من خلال مفهوم التبعية للغرب الرأسمالي، حيث ترى أن التخلف وعدم النمو في البلدان النامية يعود إلى الشروط اللامتكافئة للعلاقة بين هذه البلدان وبين الغرب الرأسمالي، وهي شروط تعمل على استمرار استنزاف الفائض من البلدان النامية ، وعدم السماح بتراكمه في هذه البلدان ويبدو ذلك بشكل خاص من خلال فهم دوس سانتوس للتبعية فهي: حالة تكشف أن اقتصاد بعض الدول يرتبط بنمو اقتصاد دولة أو دول أخرى وتوسعها، إذ تأخذ علاقة التشابك بين اقتصاد دولتين، أو أكثر، وبينهما وبين التجارة الدولية صفة التبعية عندما تستطيع

بعض الدول المهيمنة، أو المسيطرة أن تتسع وتنمو ذاتيا، في حين أن الدول الأخرى التابعة لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا كانعكاس لتوسع ونمو الاقتصاد المهيمن .

وتعد مقولات نظرية التبعية رفضا لنظرية التحديث، ذلك أن نظرية التحديث تسعى لإعادة إنتاج التجربة الرأسمالية الغربية في بلدان العالم الثالث دون اهتمام بالخصوصية البنائية الثقافية لهذه البلدان. ويقدم منظرو نظرية التبعية المقولات الأساسية لهذه النظرية والمتمثلة في :

الأقاليم شديدة التخلف اليوم هي تلك التي كانت على علاقة وثيقة مع مراكز النظام العالمي إبان تشكل هذا النظام في القرن السادس عشر .

يؤدي تركيز الدول الصناعية على الحصول على المواد الخام بأسعار رخيصة من الدول النامية إلى نشوء ما يعرف باسم "الاقتصاد الثنائي" فيها، أي وجود شريحة اقتصادية محدودة تتميز بالكفاية التكنولوجية، بينما تبقى البنية الاقتصادية للدول النامية على درجة كبيرة من التقليدية في أساليب العمل وأدواته ، في حين توجه الشريحة الحديثة قدراتها المتميزة للأسواق الخارجية وتزدهر باستمرار نتيجة لذلك، تبقى أجزاء البنية الاقتصادية عاجزة عن سد الحاجات المحلية المتزايدة .

يتواطأ رأسماليو الدول النامية مع رأسماليي المراكز العالمية الغربية لتحقيق مصالحهم المشتركة على حساب تطور الدول النامية وتقدمها، فهم يعملون على ربط السوق المحلي بالسوق العالمي باستمرار ويعملون على عقلنة واقع التنمية لضمان الحصول على الدعم والتأييد الشعبي والسياسي لهذا الواقع .

لا يؤدي وجود الشركات المتعددة الجنسيات في البلدان النامية إلى نمو هذه البلدان لأن هذه الشركات العملاقة تقوم بتحويل أغلب أرباحها إلى مراكزها

الأصلية في البلدان المتقدمة، وهي لا تستثمر في البلدان النامية إلا نسبة ضئيلة من الأرباح التي تحصل عليها من البلدان النامية .

هناك سقف للتنمية في البلدان النامية لا يمكن تجاوزه، وبالتالي فإن هذه البلدان حتى وإن استطاعت تحقيق درجة من النمو الاقتصادي والاجتماعي لا يمكن أن تصل إلى مستوى البلدان الصناعية المتقدمة التي تعمل باستمرار على إبقاء البلدان النامية في وضع التابع حتى وإن تطلب ذلك استعمال المقاطعة الاقتصادية، أو القوة العسكرية<sup>(15)</sup> .

من كل ما سبق حول محاولة اختزال الواقع الاجتماعي والممارسات اليومية - بكل ما يكتنفها من سلوكات وأفكار وعقائد واتجاهات ومعايير وقيم و...- على صعيد العلاقة بين العالمي والمحلي، في قوالب سوسيولوجية بعبارات مجردة سميت بالمقاربات النظرية، يمكن الوقوف على ماهية العولمة انطلاقاً من وظائفها أو من تجلياتها أو من نطاقها تواجدتها على أرض الواقع حيث :

العولمة هي ترجمة لكلمة Globalization المشتقة من كلمة Globe أي الكرة ، و المقصود هنا الكرة الأرضية ، و يتحدث علماء الاجتماع في مجال التحديث عن " Global Cultur " أي الثقافة العالمية والـ " Globalization " اصطلاحاً باللغة اللاتينية تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة ، كما ويعتبر المصطلح مرادفاً لصفة العالمية Mondiale (يترجم مصطلح العولمة إلى الفرنسية Mondialisation)، و يستعمل للدلالة عن الحركة و النشاط الذي يستهدف توجيه العالم، وأما في اللغة العربية فيمكن قياس كلمة عولمة على وزن فوعلة ، و عولم على وزن فوعل، بمعنى قوبل، أي أعطى شيئاً معيناً ميزات جديدة وفق نموذج محدد و مضبوط ، أو حوا شيئاً من وضع إلى وضع آخر بناء على نمط جاهز و معد مسبقاً، بينما يشير معجم ويبستر Webster's إلى العولمة كونها تعني اكتساب الشيء طابع العالمية، و بخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه

عالميا<sup>(16)</sup>. و مفهوما، تشير العولمة إلى شيئين معا : انكماش العالم و ازدياد الوعي بالعالم ككل.

و حسب تعريف رونالد روبرتسون للعولمة فإنها تعني تشكيل و بلورة العالم بوصفه موقفا واحدا و ظهورا لحالة إنسانية عالمية واحدة<sup>(17)</sup>، أي إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية و المعرفية بين كل التجمعات الإنسانية بتقليص المسافة فيما بينها، سواء تعلق الأمر بانتقال الأشخاص أو السلع و الخدمات أو رؤوس الأموال، أو المعلومات و الأفكار و القيم، الأمر الذي يجعل العالم أشبه بسوق كبيرة تضم عدة أسواق فرعية، و تتميز بسمات تلك السوق الضخمة، و هي و إن كانت تذلل صعوبات التواصل بين مختلف الشعوب باختزالها المسافات و كسرهما الحواجز ، فالعولمة تسمح بمرور كل شيء حتى الممنوعة منها كالمخدرات مادامت تدر ربحا على السوق الكبيرة الواقعة في قلب العالم، حتى الأوبئة أصبح مسموحا لها دخول عالم العولمة ( انفونزا الطيور، الأيدز، جنون البقر، انفلونزا الخنازير...) فهي تظهر في بلد و ينال جزاء ظهورها كل العالم، فالعولمة إذن هي عملية كلية مندمجة الأبعاد و الآليات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الإعلامية، لأنها تعبر عن مرحلة تاريخية مكتملة للحدثة أو هي الحدثة في حلة جديدة، تتجلى فيها ظواهر اقتصادية و سياسية تعزز إلى أقصى حد القيم الأمريكية في حين تحدث خلخلة في منظومة القيم للمجتمعات الأخرى بواسطة تكنولوجيا هي أحدث ما توصل إليه العقل البشري. وقد رصد السيد ياسين أربع فئات في كتابه " العولمة و الطريق الثالث"<sup>(18)</sup>.

يمكن أن نقف من خلالها على ماهية العولمة وهي :

1. أن العولمة حقبة تاريخية مكتملة للحدثة و تركز على نفس مبادئها ولكن في حلة جديدة، ذلك أن الحدثة كانت ظاهرة عنت التغيير في النظام السياسي، من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي، الذي يقوم على سلطة

الشعب والمجالس الممثلة للشعب، واعتماد الليبرالية نظاما اقتصاديا، و المساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي وإلزامية التعليم للأطفال والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن، و تذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة، لا تمييز فيها على أساس عرقي أو ديني أو عملي، وبهذا تكون علاقة المواطن بالدولة لا بسلطة أخرى .

2. أن العولمة يتجلى فيها البعد الاقتصادي أكثر من غيره و هو مفتاحها لغزو العالم غير المعولم عبر هيمنة الشركات على كل أسواق العالم و احتكارها للمجال الأكثر وفرة في الموارد الطبيعية و الأكثر إستراتيجية في الموقع، و حسب سمير أمين فإنه ليس هناك أي جديد في العولمة إنها شكل من الاستعمار أو موجة ثالثة من التوسع الاستعماري لا تختلف في أهدافها عن الموجات السابقة، ذلك أن أهداف رأس المال المهيمن للشركات العملاقة متعددة الجنسيات تظل هي هي، أي السيطرة على الأسواق و غزو موارد الكوكب والاستفادة من مزيد من استغلال العمل في الأطراف .

3. أن العولمة هي هيمنة وانتصار للقيم الأمريكية على خلفية الانتصار السياسي والاقتصادي وإبداء القوة في كل المجالات، فقد ظهرت القيم الأمريكية تغزو العالم بما لها وما عليها من محاسن و مساوئ و تناقضات، رغم الغربة التي تشكو منها داخل المجتمع الأمريكي ذاته، إلا أنها تسعى لنقل غربتها وتناقضاتها إلى كل المجتمعات المغلوب على أمرها، فالمغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب، رغم ما للقيم من أهمية لدى بعض المجتمعات خاصة المجتمعات العربية الإسلامية، حيث تعد القيم محمدا جوهريا من محددات السلوك الإنساني، إذ تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، وتعتبر القيم في المجتمعات المحلية من الوسائل المميزة لأنماط الحياة



الاجتماعية، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بدوافع السلوك و أهداف الأفراد و تصرفاتهم و ردود أفعالهم التي تنعكس علائقيا وحيزيا<sup>(19)</sup>.

4. أن العولمة ثورة اجتماعية و تكنولوجية، حيث صاحب ظهور هذا المفهوم أكبر ثورة معرفية في تاريخ الإنسان، و يعتقد برهان غليون أن العولمة تحمل مخاطر هيمنة أقوى نفوذا و أثرا من الاستعمار التقليدي لأنها بالضبط لا تستخدم الطرق العنيفة التي استخدمها ولكنها تعتمد على قبول الناس و سعيهم إليها و إلى الاندماج فيها، كما تخاطب عقولهم و مخيلاتهم، قبل أن تتعامل مع مواردهم الطبيعية<sup>(20)</sup>، حيث تغطي مشاريعها و تضيف عليها مشروعية بخطابات تدغدغ بها شعوب العالم كنشر الديمقراطية و احترام حقوق الشعوب و نبذ الديماغوجية(\*)).

وبذلك تتيح التدخل باسم مبادئ إنسانية، و تمثل شبكة الانترنت الأسلوب الإعلامي الأمثل للوصول إلى كل الشعوب دون إرادة أو إذن أو حتى رأي من الأنظمة المحلية بصرف النظر عن الحدود السياسية و الخصوصيات الثقافية. ذلك لأنها شبكة عملاقة من الحواسيب المتشابكة، حيث يستطيع أيأ كان وصل حاسوبه بها، من مؤسسات حكومية أو تعليمية، أو وكالات أو صناعات أو أفراد، ليتمكن المشترك من الاستفادة من المعلومات التي يعرضها المشتركون بهذه الشبكة، كما يمكن اليوم لجميع سكان الأرض القادرين دفع الثمن، الارتباط من خلال الصحن الهوائي بالقنوات التلفزيونية ذاتها الموجودة في كل العالم، والتي تتوجه في بثها لجمهور عالمي أو معلوم أكثر فأكثر لا لجمهور محلي.

فأحد مشاهير علماء السياسة الأمريكيين جيمس روزناو في محاولته لتعريف العولمة، يحدد ثلاثة أبعاد لا بد من أخذها بعين الاعتبار، يتعلق أولها بانتشار المعلومات على نطاق واسع، و ثانيها تدوير الحدود بين الدول، أما البعد الثالث فيتمثل في زيادة معدلات التشابه بين الجماعات و المجتمعات و المؤسسات .

بينما يعتقد محمد عابد الجابري أن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل إيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم ، فهي نفي للآخر، وإحلال للاختراق الثقافي على الصراع الأيديولوجي، حيث كانت الأيديولوجيا هي التي تطبع الحرب الباردة، أما الآن - في عصر العولمة - فقد سادت بدائل أخرى تأخذ تارة نكهة اقتصادية و تارات أخرى ثقافية، أو كليهما معا ، وهي - أي العولمة - تعني الآن، في المجال السياسي منظورا إليه من زاوية الجغرافيا ( الجيوبوليتيك ) ، العمل على نمط حضاري يخص بلدا بعينه، وهي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع، إنها ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي، بل إنها أيضا وبالدرجة الأولى دعوة إلى تبني نموذج معين

و بعبارة أخرى، فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرا أساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم و أمرته<sup>(21)</sup>.

فالعولمة إذن تختلف عن العالمية حسب الجابري - كما أوردها علي غربي - من حيث أن العالمية (Universalism) تعني طموحا نحو الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي، و من ثم فهي تفتح العالم على ما هو عالمي و كوني ، أما العولمة Globalization فهي إقصاء لكل ما هو خصوصي و بالتالي فرض لإرادة الهيمنة.

و العولمة في نظر سمير أمين هي صعود الهيمنة الأمريكية العالمية ، و هي ليست في العمق إلا إستراتيجية تحقيق هذه الهيمنة ، حتى في مواجهة الدول الصناعية الكبرى التي تتقاسم معها جزء من الكعكة المهيمنة<sup>(22)</sup>.

الخاتمة:

وخلاصة نقول بأن العولمة هي نسق اجتماعي ذو طابع عالمي ، يتكون من مجموعة من الوحدات الكبرى، التي تشكل مقومات النظام الرأسمالي في المرحلة الحالية، أهمها الشركات متعددة الجنسية، حيث تتفاعل هذه الوحدات فيما بينها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في مواقف مشتركة، متجاوزة بذلك الحواجز المكانية والطبيعية، حيث تتوجه كل البناءات نحو مركز مشترك تنهل منه، كونه يمثل نقطة الارتباط المتبادل، ألا وهو قواعد الرأسمالية (قواعد النظام الرأسمالي )، وهذه الوحدات دائمة الانفتاح على بعضها، تتبادل المعلومات، وتتكامل في شكل كتلتان وأحلاف ذات طابع عالمي أو إقليمي، بينما في علاقاتها مع المحيط الخارج عن التكتل، تنصبغ كل عملياتها الاجتماعية (التعاون والتنافس والصراع ) بالطابع البراجماتي خدمة لمصالح العالم المتقدم، وبكل الوسائل والأساليب، حتى لو كان ذلك على حساب مقومات شعوب وأقوام وجماعات إثنية، بل وبيئتها الطبيعية أيضا، حيث تظهر عمليات التعاون في شكل شراكة اقتصادية، وموائمة ثقافية ، ... بينما لا تخلو منطقة في العالم من التوتر بسبب النهج العولمي الرامي إلى لبرلة ورسملة العالم وأمركته(\*) .

❖ هوامش البحث:

(\*) من الأيديولوجيا .

(1) يحيى اليحياوي في إشكالية العولمة 15 / 05 / 2009 .

[www.elyahyaoui.org/cpr\\_settat.htm](http://www.elyahyaoui.org/cpr_settat.htm)

(\*) جعل المنظرون الاجتماعيون وعلماء الاجتماع في القرن 19 من أمثال أوجست كونت وسان سيمون وكارل ماركس، ما يسميه كثيرون الآن بالعولمة، محور عملهم التحليلي، وكذلك السياسي .

(2) فريديريك جيمسون و ماساو ميوشي: ثقافات العولمة، ترجمة : ليلي الجبالي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2004، ص 315.

(3) شحاتة صيام: علم اجتماع العولمة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009. ص ص 13 - 14.

(4) خلف محمد الجراد: مُعضلات التجزئة والتأخر وآفاق التكامل والتطور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، لبنان، 1998، ص 12.

(5) لمزيد من التفصيل حول المقاربات النظرية للعولمة : انظر : محمد عبد المنعم محمد أحمد شليبي، مستقبل تحولات أنساق القيم الاجتماعية في ظل العولمة " دراسة لبعض الجماعات البازغة من الطبقة الوسطى المصرية "، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف : سمير نعيم أحمد، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، مصر.

(\*) ينظر الكثيرون إلى انتوني جيدنز على أنه المنظر الأول للطريق الثالث، لكن الحقيقة أن المصطلح استخدم مرات عديدة بواسطة كتاب وسياسيين من ذوي القناعات المتباينة، فقد استخدمه البابا بيوس الثاني عشر في القرن التاسع عشر، واستخدمه هارولد ماكميلان في السنوات المبكرة للقرن العشرين، واستخدمه الديمقراطيون الاجتماعيون في سنوات العشرينات تمييزاً لهم عن أنصار مذهب رأسمالية السوق والشيوعية السوفياتية... واستخدم في مناسبات أخرى، بل وكان مألوفاً في الأوساط الفكرية في أوروبا انظر : انتوني جيدنز ، الطريق الثالث.

(6) انتوني جيدنز . الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية ترجمة :مالك عبيد أبو شهيوه و محمود محمد خلف، دار الرواد، طرابلس، ليبيا، 1999، ص ص . 12-15 . يسمى علم الاجتماع الكلاسيكي، أصبح الموقف شديد التعقيد على الجبهة السوسولوجية، ويعود ذلك في المقام الأول إلى تشعب جهاز الدولة القومية وتوسيعه وتقوية النزعة القومية ، ولذلك واجهت علماء الاجتماع الكلاسيكيين مشكلة ذات وجهين، تخص النزوع القومي " والعولمة" ويمكن القول بأن علم الاجتماع الحديث ولد من هذا المأزق، وربما اعتبرناه إلى حد ما من ضحايا هذا المأزق . انظر : رونالد روبرتسون ، العولمة " النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة: أحمد محمود و نورا أمين، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر 1998 . ص 41 .

(7) انتوني جيدنز: علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ومؤسسة ترجمان ، ط4، بيروت لبنان، 2005، ص ص 130-133 .

(8) فيك جورج وبول ويلدينج: العولمة والرعاية الإنسانية، ترجمة طلعت السروجي، المجلس الأعلى للثقافة ( المشروع القومي للترجمة )، القاهرة، 2005، ص ص 19- 37 .

(9) المرجع السابق، ص 22.

(10) المرجع السابق، ص 24.

(11) ليسلي سكلير: سوسولوجيا النظام الكوكبي، مجلد : العولمة الطوفان أم الإنقاذ الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية، تحرير: فرانك جي لتشنر وجون بولي، ترجمة : فاضل جتكر، المنظمة العربية للترجمة و مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2004 . ص ص 127 - 129 .

(12) Leslie sklair, **competing conceptions of Globalization**, Journal of world – systems research, vol 1999, pp: 149-157 .

(13) بول كيركبرايد: العولمة والضغوط الخارجية، ترجمة : رياض الأبرش، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 33.

(\*)يرتكز المفكرون عادة في تعريف الحداثة إلى فكرتين أساسيتين هما: فكرة الثورة ضد التقليد، وفكرة مركزية العقل،...وفي وصف طابع هذه الإشكالية يقول محمد محفوظ: "يبدو أن مصطلح الحداثة وكأنه نص مفتوح على كل مضامين التقدم المعاصر، بحيث أنك لا تفرق بشكل صارم بين مضمون مصطلح الحداثة وبين مضامين مفاهيم التحديث والتقدم والعصرية أو الجديد. ويمتد التداخل ليشمل المعايير والقيم وأنماط السلوك واللباس وطراز السكن أي كل مناحي الحياة في آخر المطاف"، ويتميز مفهوم الحداثة Modernity عن مفهوم التحديث Modernization في اللغتين الفرنسية والإنكليزية. فالحداثة هي موقف عقلي تجاه مسألة المعرفة وإزاء المناهج التي يستخدمها العقل في التوصل إلى معرفة ملموسة. أما التحديث Modernization فهو عملية استجلاب التقنية والمخترعات الحديثة حيث توظف هذه التقنيات في الحياة الاجتماعية دون إحداث أي تغيير عقلي أو ذهني للإنسان من الكون والعالم. فأنصار التيارات السلفية المتطرفة يوجدون في المعاهد العلمية ويتعاملون مع التقنية الحديثة دون أن يأخذوا بالروح العلمية أو الفلسفية لهذه التقانة. ومن أجل أن نفهم جوهر الحداثة يتوجب علينا أن ندركها كطاقة مجددة متحركة منطلقة تمثل الماضي والحاضر وتعيد إنتاجهما بروح مستقبلية جديدة.

والتحديث في التجربة العربية يأخذ طابع المحاكاة الجوفاء لمظاهر المدنية في الغرب ونماذجه الحضارية وهذه المظاهر لا تنم عن حالة حضارية أو حداثة تنبثق من صميم المجتمع وتكون في رحمة الحضاري. وغالبا ما يظهر أن هذه النماذج الحضارية تتعارض مع النسق الحضاري العربي في أصوله وتجلياته الذاتية. وهذا يعني أن استجلاب مظاهر الحداثة من الغرب قد يؤدي إلى مزيد من الضياع والاحتضار. وقد يعني ذلك، وهذه هي الحالة على الأغلب في عالمنا العربي، تعايش منظومتين اجتماعيتين متنافرتين في آن واحد هما: مجتمع تقليدي يمارس حياته وفق معايير وقيم تقليدية، ومجتمع حداثة يعيش وفق أحدث المعايير العصرية دون أن يتمثل روح هذه المعايير ويتشرب من تدفقاتها الذاتية. ووفقا لهذه التصور فإن التحديث العربي في التاريخ المعاصر يأخذ صورة متناقضة مع الحداثة الحقيقية.

كما يميز محمد أركون في كتابه الإسلام والحداثة بين المفهومين: "فالحداثة موقف للروح أمام مشكلة المعرفة، إنها موقف للروح أمام كل المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة ملموسة للواقع. أما التحديث فهو مجرد إدخال للتقنية والمخترعات الحديثة) بالمعنى الزمني للكلمة) إلى الساحة العربية أو الإسلامية، نقصد إدخال المخترعات الأوروبية الاستهلاكية وإجراء تحديث شكلي أو خارجي، لا يرافقه أي تغير جذري في موقف العربي المسلم للكون والحياة.

يصف محمد أركون هذا بأمثلة مستمدة من واقع الجزائر والخليج العربي. ففي الجزائر وفي صبيحة الاستقلال عام 1962 انخرطت في التحديث في مجال التصنيع الثقيل وذلك عن طريق استيراد المصانع والمعامل والخبرات، وهذه ليست حادثة، فالحداثة كانت ممكنة عن طريق بناء المخابر في مجال الفيزياء والكيمياء والرياضيات. وفي الخليج نشاهد الموقف عينه فبلدان الخليج تستورد مظاهر الحداثة المادية من آليات وسيارات وأجهزة وأنابيب النفط ومصافيه وهي آلات ومخترعات كلفت أوروبا مئات السنين من البحث والتجريب العلمي وفي أصل هذه المخترعات تكمن روح ديكارت وفرانسيس بيكون وغاليلو وكوبرنيكوس وأديسون وغيرهم، وهذه هي الروح العلمية روح العلم الحديث التي تمثل جوهر الحداثة. ونحن ننقل مظاهر هذه الروح وليست روح العلم والمعرفة العلمية الحقة. للمزيد انظر : علي أسعد وطفة . مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة .

[http://www.alimbaratur.com/index.php?option=com\\_content&view=category&id=19:2010-08-07-22-53-42&layout=blog&Itemid=21](http://www.alimbaratur.com/index.php?option=com_content&view=category&id=19:2010-08-07-22-53-42&layout=blog&Itemid=21)  
. 2012 /04 /03

(14) مجد الدين خمّش: العولمة وتأثيراتها في المجتمع العربي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، 2011، ص ص 191 – 193 .

(\*) تعتبر هذه المؤسسات إحدى أهم أدوات النظام الليبرالي والعولمة بشكل خاص ، ....

- (15) مجد الدين خمّش : مرجع سبق ذكره، ص ص 193 – 194.
- (16) العيد صالحى: العولمة و السيادة الوطنية المستحيلة، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر 2006 ، ص 58.
- (17) بركات محمد مراد : ظاهرة العولمة رؤية نقدية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر، 2001، ص 91.
- (18) السيد ياسين : العولمة و الطريق الثالث، ميريت للنشر ، القاهرة ، 1999، ص 9
- (19) حميد خروف و آخرون: الإشكالات النظرية و الواقع ( مجتمع المدينة نموذجاً )، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص 86 .
- (20) برهان غليون و سمير أمين: ثقافة العولمة و عولمة الثقافة، ط 3، دار الفكر سورية و دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002، ص 134.
- (\*) الديماغوجية: سياسة تملق الجماهير، و يقصد به الاتجاه الانتهازي للحكام للسيطرة على جماهير الشعب غير المثقفة، فيتحدث من يتجهون هذا الاتجاه عن المشروعات الاقتصادية و الاجتماعية على أساس كاذب، و يتتهزون فرصة القلاقل الاجتماعية و البؤس بالالتجاء إلى التحيز و التحامل .
- (21) علي غربي : مجلة الباحث الاجتماعي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص ص 12-15.
- (22) برهان غليون و سمير أمين: عولمة الثقافة و ثقافة العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 132
- (\*) لبرلة العالم من " اللبرالية " ورسملة من الرأسمالية .